

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقام الإبداع والعرفان

ليلة سماع

«مجموعة الذاكرين»

البرنامج الفني لليلة السماع التي تهيئها «مجموعة الذاكرين» بقاعة المحاضرات بالمكتبة الوسائطية التابعة لمؤسسة مسجد الحسن الثاني - الدار البيضاء يوم الجمعة 16 رمضان 1431هـ / 27 غشت 2010م بعد صلاة التراويح.



مقدمة

حينما أدرجت مؤسسة مسجد الحسن الثاني جلسة سماع في برنامجها الثقافي، أرادت التذكير بملكة الإنصات التي يوليها الإسلام مكانة أسمى من الرؤيا عند بعض المفكرين المسلمين.

إن الإنصات صنو الفعل الموجد، وهو الشرط الأساسي للفهم والتلقي. ألم يخلق العالم بالأمر الإلهي في قوله «كن»؟.

وفي القرآن ما يؤكد قيمة الإنصات حينما يخاطب الله جل وعلا الأرواح بقوله: «ألسنت بربكم؟» وهي في صمتها تنصت للسؤال ثم تجيب بعد إدراكها «قالوا بلى» وتلك هي رابطة الميثاق الواصلة بين ابن آدم وخالقه.

إن لفظ السماع مصطلح غني الدلالات، ولا يمكن قصره فقط على الإنصات العادي بل إنه إنصات صوفي يعني فيما يعنيه الانسجام، مع مدلول الذكر، والخضوع للخالق جل وعلا، وهو بذلك ينافي الإهمال، والنسيان، والغفلة. فالسماع إذن بالمفهوم الروحي نوع رفيع من أنواع الذكر.

والغريب في الأمر أن الإنصات والخضوع لهما أصل واحد سواء في اللغة العربية كما في اللغة اللاتينية، وقد أشار إلى ذلك جان دورينغ الخبير في الموسيقى.

فيتوجب علينا إذن التذكير بأن كلمتي «إنصات» و«إدراك» لهما نفس الجذر في اللغة الفرنسية، كما قال الفيلسوف الألماني هيدغر «كينونة السمع هي من صميم الأذن التي تسمع».

والسماع يُعدُّ شعرا صوفيا وصيغة مثلى للأمر الإلهي في الصوفية كالذكر تماما، بمثابة نشيد روحي واحتفال صوفي يتطلب الإنصات إليه تطهير الأنا، وتهذيب الروح، إلى (بلوغ الوجد).

وهذا الشعر الرفيع وسيلة لتربية الروح، حيث أنه يأخذ شكل مديح للرسول صلى الله عليه وسلم، أي أنه عبارة عن رموز وإيحاءات رفيعة موجهة للمحجوب (الله)، إذ فيه يتحقق عناء المرید في المكاشفة.

تستدعي هذه القصائد إذن انتباه السامع، وتجاوبه الصادق، لأنها تملك القدرة على التأثير إلى حد البكاء بل وأحيانا بلوغ مقام الوجد.

يدعوننا منشود فرقة «الذاكرين» من الرباط، الذين يحافظون بأمانة وعشق على تراث السماع المغربي والأندلسي، عبر ثلاث جلسات (فضائل الصوم، وأشعار الشيخ سيدي محمد الحراق، وتكريم الشاعر الصوفي الكبير الششتري) إلى سماع صوفي متفرد. فلنتمنى أن تمتع هذه الجلسات قلوبنا وعقولنا.

بوشعيب فقار

محافظ مؤسسة مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء

سَمَاع ليلة

مقام الإبداع والعرفان

السَمَاع، بما هو ذكر وإنشاد صوفيّان، يهذب النفوس ويحرك الأشواق ويستثير المواجيد من خلال السفر بالأرواح في منازله المعاني الربانية ومعارج الأذواق العرفانية ومجالي الجمال الإلهي؛ وذلك عبر سفينة النظم البهي والنغم الشجي والأداء الزهّي . وخلال هذه الليلة الرمضانية الفاتحة عطرا وذكرا، ليلة «مقام الإبداع والعرفان»، يحضر السَمَاع الصوفي المغربي الأصيل بوصفه ، أساسا، ترجمانا فنيا لوجه من أوجه العلاقة الباذخة بين السرد والعرفان .

هكذا تقدم «مجموعة الذاكرين» لفن السَمَاع الصوفي تحت إشراف الأستاذ محمد التهامي الحراق ثلاث وصلات سماعية فنية هذه قسماتها:

1- وصلة افتتاحية بعنوان:

« باقة سماعية وفضائل الرمضانية »

وهي وصلة افتتاحية خاصة بشهر رمضان المبارك تبرز بعض فضائله ومكارمه وأسراره .

2- وصلة ثانية بعنوان:

« قبسات سماعية من أحوال محكية في كتاب «الزاوية» »

وهي حصة سماعية يتمنّج ويتزّوج فيها الحكمي بالإنشاد، والسرد بالسَمَاع؛ انطلاقا من حوار فني سماعي مع كتاب «الزاوية» للتهامي الوزاني (صدر عن مطبعة الريف بتطوان 1942م) . ويعد واحدا

من النصوص الأولى التي افتتحت الكتابة السردية المغربية المعاصرة وخصوصا في باب السيرة الذاتية. هذه الوصلة عبارة عن إشراقات جمالية صوفية مستمدة من بعض لحظات التجربة الصوفية الذوقية للشاعر الصوفي المغربي الشيخ سيدي محمد الحراق (ت1861م)، كما يحكيها كتاب «الزاوية» .

3- وصلة ثالثة بعنوان:

« تشنيف أذن الفؤاد بنفحات من "بلاد صاد" »

وهي قراءة سماعية ونزهة ذوقية في رواية «بلاد صاد» ثالث الأعمال السردية العرفانية للأديب عبد الإله بن عرفة (منشورات دار الآداب ببيروت 2009). وهي الرواية التي تتناول بالتأمل والسرد والتخييل سيرة حياة وأحوال وسياحات ومذاقات الأمير الشاعر الفقير المتجرد إمام المسمعين الصوفي الأندلسي المغربي الكبير أبي الحسن الششتري (ت1269م)؛ حيث تنتسج الوصلة السماعية انطلاقا من المسار الشعري الذوقي العرفاني لتجربة هذا الصوفي كما تعكسها التمفصلات السردية لرواية «بلاد صاد» .

الحمد لله العزيز الغفار، والصلاة والسلام على سيدنا محمد مشكاة الأنوار،
وعلى آله الأطهار، وصحابته الأبرار، ومن اغترف من معينهم من الصالحين والأخيار.

الوصلة الأولى

باقة سماعية في الفضائل الرمضانية

نغم النهاوند / إيقاع بسيط

مجزو الرمل - هيللة

أَجْمَلُ الْعَالَمِ خُلِقَا	*	وَأَجَلُ النَّاسِ خُلِقَا
ذَكَرَهُ غَرْبًا وَشَرْقَا	*	عَمَتْ أَنْوَارُهُ بِاللَّهِ
خُصَّ بِالسَّبْعِ الْمَثَانِي	*	وَحَوَى لَطْفَ الْمَعَانِي
مَالَهُ فِي الْكُونَ ثَانِي	*	وَعَلَيْهِ أَنْزَلَ اللَّهُ

لبعض الأفاضل

مربعات

نورُ في شهر القرآن	قد أوحى به الرحمان	واجتبي له العدنان
أنزل الله الكتاب	فيه إذ كان الخطاب	بالتقى حسن المآب
	ثم نجزي المحسنين	

من مجموع الأمداح

طويل

وذكرُ حكي معناه في الحسن لفظه	*	ويُشبه ماءَ الوردِ في طيبه الوردُ
-------------------------------	---	-----------------------------------

وقد أحكمت آياته وتشابهت * قلمبتي ورد وللمنتهي ورد

للإمام شرف الدين البوصيري

موال

كامل

فيه اصطفى الرحمانُ أحمدَ رحمةً * للعالمين ونزلَ القرآنُ
أوحى إليه اقرأ ولم يكُ قارئاً * سبحانَ ربي علّمَ الإنسانا
في ليلة القدر المباركة انجلى * نور الهداية يمحقُ البهانا

لبعض الأفاضل

تغطية - درج مهزوز

طويل

ولله في العشر الأواخر ليلةً * لقد عظمتُ قدراً كما ملئتُ خيراً
فطوبى لقوم أدركوها وشاهدوا * تنزلُ أملاكُ السما آيةً كبرى
وفازو بغفرانِ الإله فأصبحوا * يُشمُّ عليهم من شذى عرْفها عطرًا

لبعض الأفاضل

مخلع بسيط

الصومُ لي قال الحقُّ حقاً * وهو الذي يجزي به صدقاً
أجزل للصائمين أجراً * فسبق إلى ذاك الفضل سبقاً

لبعض الحبين

دور I

مربعات

أهل الصوم لهم أقدارُ * قد جاءتُ بها الأخبارُ
أن الله لهم غفارُ

وما أمضوه في العصيان
ومنه فوج أفواه
عندهم أزكى من باه
طري الورد في البستان
من المسك ومن زاه

دور 2

منه جاء في النقل
أن الله ذو الفضل
له عتق في كل
لياليه من النيران
أشرفت فيه الآيات
بينات معجزات
للخلائق باهرات
ذاك من سحر البيان

من مجموع الأمداح

سريع

صفوة باري الخلق كهف التهي
من خصه الله بقرانه
عصمة دين الحق ذخراً للعصاه
فضلاً وبالسبع المثاني حباه

لبعض الأفاضل

خفيف

أعجز الإنس آية منه والجد
كل يوم تهدي إلى سامعيه
صل يا ربنا وسلم على من
وعلى آله أجل البرايا
من فهلاتا تي به البلغاء
معجزات من لفظه القراء
هو للخلق رحمة وشفاء
وعلى صحبه الرضا والثناء

من همزية الإمام البوصيري

اتتهت الوصلة الأولى بحمد الله وحسن عونه وفضله



الوصلة الثانية

قبسات سماعية

من أحوال محكية في كتاب «الزاوية»¹

«وكان الشيخ الأكبر سيدي محمد الحراق ناطقة عالية قلما قرأناها لأحد من كبار القوم، وغزل رقيق يصل البعض منه إلى أعلى درجات البلاغة التي عرفناها ذلك العهد والعصور قبله، لا في المغرب ولكن في العالم العربي، والشيخ الحراق الأكبر هو الشاعر المغربي الذي يمكن للمغاربة أن يعدوه في أول من يعدون من شعرائهم ومفكرهم على الطريقة الصوفية التي لم يكن عليها إلا أفذاذ هذا الفن».

الزاوية، ص. 156

«حكى لنا الشيخ سيدي ادريس أنه قابل بفاس رجلا بناء طاعنا في السن كان من أصحاب سيدي محمد الحراق، فحدثه أن الفقيه الورع سيدي محمد بن المدني كونه صاحب اختصار حاشية الرهوني على الزرقاني عندما كان يبني داره بفاس كان هذا البناء ممكن يعمل فيها، ولما وصل وقت فراش الدار الزليج بقي بها وحده يغلقها عليها ويشغل جالساً، ولم يكن أحد يجروء أن ينطق بشيء من الغناء أو من كلام القوم بسمع من الفقيه كونه، وفي ذات يوم ظن البناء أن الدار فارغة فأخذ يذكر الهيللة ويخللها بأبيات من نائية الحراق، واستمر فيها إلى أن أتى على آخرها ثم سكت، قال فلم أشعر إلا والفقيه قد وقف على رأسي وهو هادئ تمام الهدوء، فلما وجدته أمامي وأيقنت أنه كان يسمع نشيدي اعتراني من الدهش والحيرة ما لا يعلمه إلا الله، ولم أشك في أنه سيفعل بي سوءاً من ضرب أو نحوه، ولكنه سألني في لطف عن القصيدة التي كت أقولها لمن هي، فترددت في الجواب خشية أن يسمعني في شيجي ما لا أحب سماعه ولكنه أبح علي، فقلت له هي من كلام الشيخ الحراق فاستنشدني إياها ثانياً، فلما وصلت إلى قوله فيها:

ومكن بكف الشرع أمرك كله فدونك إن لم تفعل الباب سدت

استعادته عدة مرات كأنه يحفظه، فلما فرغت من إنشادي قال لي هكذا يكون المشائخ لا كهؤلاء المدعين، أما أني لو أدركت الشيخ سيدي محمد الحراق لأخذت عنه».

الزاوية، ص. 183-184.

¹ هذا البرنامج قراءة سماعية لتجربة الصوفي المغربي إمام الأدواق ومهيج الأشواق العارف سيدي محمد الحراق (ت 1861 م)، انطلاقاً من المتن السردى لكتاب «الزاوية» لمؤلفه الأديب الذائق مولاي التهامي الوزاني. وهي قراءة تراوح بين السرد والإنشاد، بين سماع الحكى وحكاية السماع.

فاتحة حكاية سماع - طبع الزريكة

كامل

دور 1

- أحمد إنني بجاهك عائد * مما عرى جسمي من الضراء
ولقد دعوتك حين جلت كربتي * ولم ألف غيرك كاشفا لبلاءي
والحال إن عظمت فلا يدعى لها * إلا العظيم وأشرف الشفعاء
وحشا يرى بأسا عبيد قد غدا * مستصرخا بك ساكن البطحاء
كلا فمعتدي وأنت المجتدي * أن لأرى هما وأنت جلائي

موال

- ربي به وبآله وصحابه * والأنبياء وسائر الصلحاء
وبحق ذاتك سيدي وكما لها * وصفاتها العليا وبالأسماء
كف الأذى عني بفضلك عاجلا * واغفر ذائل أسفه السفهاء

تغطية/مهزوز

دور 2

- والحال ضاقت بي ولم أر نافعا * إلا الرجوع لأكرم الكرماء
من تصغر الزلل العظام عنده * إذ هو حقا أعظم العظماء
ويعامل العاصي وإن زلت به * أقدامه في مهوة البلواء

دور 3

- رب غفور لو يواخذ خلقه * لم يبق ديارا من الأحياء
لكنه غمر الجميع بجوده * والحلم يرغم أنفس اللؤماء

للشيخ سيدي محمد الحراق

وقفه حكاية سماع - طبع الزريكة

دور 1

بالتوى والبيّن	*	كنت قبل اليوم مضمى
جن ليل الأين	*	دائم الأحزان لما
لاح للعينين	*	فانثنى ليلي وفجري
مالك الجمعين	*	فأنا في الكون وحدي

دور 2

برزخ البحريين	*	لم نزل من فرط وجدي
من سحاب الغين	*	قد تجلت شمس ذاتي
فهي عين العين	*	واستوت من فوق عرشي
غير نفس اليمين	*	لا ترى فيها ظهوري

دور 3/مخلص لطبع رمل المائة

واحد في اثنين	*	فهي من جسمي وروحي
منبي الأميين	*	أحرزت لفظا ومعنى
نظهر الضدين	*	غير أنني في غرامي
حال تيه الزين	*	كي تساعد في خفاها

دور 4

لابس اللونين	*	وتراني في هواها
أن تُرى بالعين	*	غيره مني عليها
ظنني ظنين	*	من رآها في صفاتي

وأنا والله وحدي

*

مطلع الشمس

له أيضا

وقفه حكائية

سماح - طبع رمل المائة

دور 1

فَمَا لَنَا للسوى نظر
لما بدا وجهك الأغر

*

جمعت في حسنك المطالب

*

وكل شيء نراه غائب

دور 2

إلى محب له خضع
عن كل من في العلا ارتفع
طوبى لمرء بك اجتمع
كل إلى نورك افتقر
لأنك العين والأثر

*

يا سيذا كلما تجلى

*

أنت بعز الكمال أعلى

*

وكل حسن بك تحلى

*

مشارك الكون والمغارب

*

وأنت فوق الجميع غالب

دور 3

يا غاية القصد والمراد
أحالت النوم للسهاد
يا ساكن الجسم والفؤاد
إذ ليس لي دونكم وطر
وجود مرء عنكم صبر

*

يا نور عين العيون طرا

*

سقيتني من بهاك خمرا

*

فلم أجد في هواك صبرا

*

هجرت من أجلك الحبايب

*

وصار عندي من العجائب

له أيضا

وقفه حكاية سماع - طبع رمل المائة

وافر

دور 1

- فغادرت العقول بها حيارى * أماطت عن محاسنها الخمارا
توقد منه كل الجسم نارا * وبثت في صميم القلب شوقا
أرى الإفشاء منك اليوم عارا * وألقت فيه سرا ثم قالت

دور 2

- إذا ذكر الحبيب لديه طارا * وهل يستطيع كتم السر صب
فلم يشعر وقد خلع العذارا * به لعب الهوى شيئا فشيئا
يشير لغيرها ولها أشارا * إلى أن صار غيبا في هواها

موال

- ويلقي في عيونهم الغبارا * يغالط في هواها الناس طرا
فيحسبه الورى أن قد تمارى * ويسأل عن معارفها التذاذا
كفاهم في صبابته اختبارا * ولو فهموا دقائق حب ليلى

تغطية

دور 3

- يذل له وينكسر انكسارا * إذا يبدو امرؤ من حي ليلى
يقبل ذا الجدارا وذا الجدارا * ولولاها لما أضحى ذليلا
ولكن حب من سكن الديارا * وما حب الديار شغفن قلبي

دور4/ طبع الاصبهان

- ولما أن رأأت ذلي إليها * وحي لم يزد إلا انتشارا
وأحسب في هواها الذل عزا * وحقري في محبتها افتخارا
أباحث وصلها لكن إذا ما * غدونا من مدامتها سكارى

* * *

تحليل حكائي سماع - طبع الحجاز الكبير

دور4

- شربناها فلما أن تجلت * نسينا من ملاحظتها العقارا
وكسرنا الكؤوس بها افتنانا * وهمنا في المدير ولا مدارا
وصار السكر بعد الوصل صحوا * وأين السكر من حسن العذارى
فدعني يا عدولي في هواها * كفى شغفي بمن أهوى اعتذارا

دور5/ مهزوز

- أتعذل في هوى ليلي بجهل * لمن في حبها بلغ القصارى
فذا شيء دقيق لست تدري * لدقه المشير ولا المشارا
به صار التعدد ذا اتحاد * بلا مزج فذا شيء أحارا
فسلم واتركن من هام وجدا * وما أبقى لصبوته استارا

له أيضا

وقفه حكاية سماع - طبع العشاق

برولة

- | | | |
|----------------------------|---|----------------------|
| الصبح كشريف ارخى ذيل ازارو | * | وليس من الدباج غفارا |
| والليل كغلام اسود شاب عذار | * | وشعل من ضياه منارا |
| الصبح كنسر تعلا | * | والليل سال دم غراب |
| والضوفي ماه تجلا | * | ورسل على الظلام نقاب |
| انظر تر حمام القبلا | * | مثل الامام في محراب |
| والفلك كيف دار بصنعة دوار | * | وخفا كواكبه السيارة |
| هب التسيم بين الداعي ونهار | * | شوش دواحها المسرارا |

من مجموع الحائك

تمة الوقفة الحكائية سماع

دور I / قدام

- | | | |
|------------------------------|---|------------------------|
| صاف الحبيب تظفر بايديع نوارو | * | وتحوز من بهاه إي مارا |
| بها تنال من بين الخلق سرارو | * | وتعود للنفوس طهارا |
| ذكر حقيق للقلب ادوا | * | يشفيه من سقام وهامو |
| ويسير لغير السوى | * | ويلذ لو فيه منامو |
| به الوجود كلو يضوى | * | من غسق الهوى وظلامو |
| يسعد من اضحى يخلع فيه اعدارو | * | ويدور في سوايح الدارا |
| ينشد ف الحبيب سجالو وشعارو | * | والقوم من اهواه اسكارا |

دور 2/ مخلص إلى طبع المائة

- يا من بغا وصال حبيبو * افنى تشوف نور الحضرا
وارق على الأكوان تصيبو * يغنيك عنهم بنظرا
من كان ذا الحبيب نصيبو * من كل باس حالويبرا
تشرق فالقلوب شمس واقمارو * وتجيئه كل وقت بشارا
من نال ف المحب والصدق افكارو * يشعل من ضياه امنارا

للشيخ سيدي محمد الحراق

تحليل حكائي

موال

- وخذ بقية ما أبقيت من رمق * لاخير في حب إن أبقى على مهج

لسلطان العاشقين عمر بن الفارض

تحليل حكائي

تغطية / طبع السبكة

- هيئات هيئات إن الصب لوفنيت * أو صاله عن رسوم الحب لم يعج
والحب ما لم يت به الفتى دنقا * فإن صاحبه حقا من الهمج
لأن موت الكئيب الصب في كبدا * عن صدقه في الهوى من أوضح الحجج

للشيخ الحراق

رجع إلى البرولة

- * الصادق ف المحبة حالو
* ويلوح للعباد جمالو
* ينفق على حبيب مالو
* ديما تراه بين اوراد واذكار
* يخشى نفوت فالهزل جميع اعصار
* من هوليب فاطن يا صاح
* ويبوح بالغرام ويرتاح
* هذا الهوى صعيب وفضاح
* به العشيق يتقلب فوق جمارو
* ليل في غرام يفني ونهارو
- يظهر في وصاف ايمانو
لو يكتم طول زمانو
ويزيد مهجتو وابدانو
عند ف كل وقت عمارا
ويضيع العمر خسارا
يسعى ف صلاح مقامو
من كيد الرقيب وملامو
يشعل فالقلوب ضرامو
ولا تفيد فيه حزارا
ومحبة الحبيب تجارا

له أيضا

خفيف / قفل

- * أكثر العاذلون فيك ملامي
* وتباهوا بأنهم عيروني
* ورأوا أن ذاك يسلي فؤادي
* كيف أسلو وأتم الروح مني
* قد سرى سركم قديما بكلي
* علمهم يطفئون نار غرامي
* بجنوني وحيرتي وهيامي
* عن هواكم وذاك محض حرام
* ودمائي حقيقة وعظامي
* فقعودي إذن بكم وقيامي

له أيضا

انتهت الوصلة الثانية بفضل الله ومنه



الوصلة الثالثة

تشنيف أذن الفؤاد

بنفحات من «بلاد صاد»¹

« وألق لنا أذن الفؤاد مصيخة

وع القول مني واستمع لنصيحتي »

للشيخ سيدي محمد الحراق

«اعلم أن القلوب أوعية والآذان أوكية، والنعمة أشربة مروية، لأن الأصوات جمال تحمل النعمات من الأغاني إلى الأواني. ولولا صفو الأواني مارقت المعاني، ولولا صحة المعاني ما طابت الأواني، فإذا وصلت الأشربة إلى أوانها وكانت صافية صفته ولطفته». العزيز عبد السلام المقدسي في كتابه «حل الرموز ومفاتيح الكنوز» (مخ. مو. و. 36/ب- و. 37/أ).

« ثم سألت ابن سبعين عن سر السماع فقال: السماع يطلب به خمس فضائل: أولها رد الفئات من الأحوال، والثاني حفظ ما يحث الملكة، والثالث استجلاب ما لم يفهم بالمدرك الفقير، وأقصد به العقل، ورابعها حديث النفس بالأمر الذي ليس من جنس المكتسب، وخامسها إحداث راحة الفقراء لأن القلوب في السماع منسرحة».

«بلاد صاد». ص. 269

¹ هذا البرنامج قراءة سماعية ونزهة ذوقية في رواية «بلاد صاد» ثالث الأعمال السردية العرفانية للأدب عبد الله بن عرفة. وهي الرواية التي تناول بالنسرد والتأمل والتخييل سيرة حياة وأحوال وسياحات ومذاقات الأمير الشاعر الفقيه، الفقير المتجرد إمام المسمعين، وسراج العارفين أبي الحسن الششتري رضي الله عنه.

مستعمالات صوفية في طبع الغربية المحررة وغربية الحسين والمشرقي الصغير

مقدمة تمهيدية

بسيط - هيللة

- | | | |
|-----------------------------|---|---------------------------------|
| عند المنام وستر السهد يحجبه | * | في الصاد نور لقلب بات يرقبه |
| ينير صدرك والأسرار ترقبه | * | فتم فإنك تلقى نور سجده |
| مشكور فهو على العادات يعقبه | * | فذلك النور نور الشكر فارتقب الـ |

للشيخ الأكبر سلطان العارفين محي الدين بن العربي

درج مهزوز

مقتضب

- | | | |
|-----------------|---|------------------|
| وافهمني يا فلان | * | جل جل تر المعاني |
| الإبماسكن | * | ما تنطق الأواني |
| نصف لك الخبر | * | آج تكون جوارى |
| الشمس والقمر | * | سبعة هم الدراري |
| مع نجوم آخر | * | ونجمة المشتري |
| والقلب صار مكان | * | والسرفي المعاني |
| الإبماسكن | * | ما تنطق الأواني |

لإمام المسمعين أب الحسن الششتري

طويل

ولما اجتلاك الفكر في خلوة الرضا * وغيبت قال الناس ضلت به الأهوا
لعمرك ما ضل الحب وما غوى * ولكنهم لما عموا أخطأوا الفتوى

له أيضا

موشح

فأقوام يقولوا عني مجنون
وأقوام يصفوني بأوصاف دون
وأقوام يقولوا عني مفتون
وأقوام بالفضائل يذكروني * ودع العواذل يعذلوني

له أيضا

كامل

رضي المتيم في الهوى بجنونه * خلوه يفني عمره في فنونه
لا تعذلوه فليس ينفع عدلكم * ليس السلوع عن الهوى من دينه

له أيضا

متدارك

يا كثير الملام * لا تلمنا دعنا
نحن أهل الغرام * كل معنى معنا
نحن قوم لنا * في المعاني أسرار
الهوى طبعنا * والولوع والأذكار
الطرب والغنا * به تزول الأغيار
لا تكثر كلام * سكرنا ينفعنا
عن طباع العوام * العذار اخلعنا

له أيضا

مخلع بسيط

واسمع إذا غنت المثنائي * تقول يا هوليبيك يا هو
اطرب لذكر الحبيب وافرح * قد بلغ الشوق منتهاه

له أيضا

موشحة

بديت بذكر الحبيب * وهمت وعيشي يطيب

وبحت بسر عجيب

لما دار الكاس * ما بين الجلاس
أحيتم الأنفاس * عنهم زال الباس
سقاهم بكاس الرضا * عفا الله عما مضى
اشرب يا نديمي وطب * وعش في أمان الحبيب

قد فزت بسر عجيب

قم خل الكاسات * واشرب في الطاسات
واغتنم لذات * فمقام السادات
بريق الحمأ قد أضأ * عفا الله عما مضى

له أيضا

موشحة

مدامك يا شيخ الحضرا * مدام عـجـيب
وكل عليل به يبرا * لاش ما أصيب
يقول الفقير حين يلهج * الدنيا متاع
املاي الكؤوس تفرج * ودرها صناعي

وسيدي الرفاعي	*	من خمرا شربها الحلاج
ونحن نطيب	*	دارت الكؤوس بالخمير
أش نهني تعيب	*	ومن اشتهر بشهرا
ودرها مباح	*	املاي الكؤوس ياساقي
ويظهر صلاحه	*	وغن تطيب أشواقي
ويشرق صباحه	*	فبها تزيان اخلاقي
كلهم يغيب	*	ودع العواذل برا
في عيش خصيب	*	ونحن جميع الفقرا

له أيضا

ممدارك

من سكر به غنا	*	يالاه من ممدام
ولهم فيه معنا	*	شاربه الكرام

له أيضا

طويل

وقال «أنا» من لا يحيط به معنا	*	وذوق للحلاج طعم اتحاده
شربت مداما كل من ذاقها غنا	*	فقبل له ارجع عن مقالك قال لا

له أيضا

وافر

حقيقته وعنه الباب سدت	*	فمن أوري زناد الحق ردت
كحلاج المحبة إذ تبدت	*	وكعبته بفأس الشرع هدت

له شمس الحقيقة بالتداني

فلما أن دنّا منها تدلى * وبالإسم المعظم قد تحلى
 توحدَ عند ذاك وما تولى * فقال «أنا» هو الحق الذي لا
 يغير ذاته مر الزمان

من تخميس للشيخ الششتري على قصيدة للشيخ محي الدين ابن العربي

بسيط

أنظر للفظ «أنا» يا مغرم فيه * من حيث نظرتنا لعل تدريه
 خل ادخارك لا تفخر بعارية * لا يستعير فقير من مواليه
 جسوم أحرفه للسر حاملة * إن شئت تعرفه جرب معانيه

له أيضا

زجل موشح

تطلبني و«أنا» معاك في كل حال * ترقبني عند المعالي والظلال
 تجدني خفيت عن طي المثال * اعرفني إياك تكون بيا جهول
 أش تطلب تراني معاك ما نزول

قربني وأدناني بعد العتاب * وقال لي انهض ترى خلف الحجاب
 يبدو لك جمالي «أنا» هو الوهاب * حين يبدو تقنى وتذهل العقول
 أش تطلب تراني معاك ما نزول

له أيضا

رمل

كشف المحبوب عن قلبي العُطْبِي * وتجلسي جهرة مني إلي
 وجلا عني حجابا كنته * فتلاشي الكون يا صاح لدي

له أيضا

موشح

قولو للفقيه عنِّي * عشق ذا المليح فني
أي مذهب تدريني
الشريعة تُحِينِي
والحقيقة تُفْنِينِي
واعلم أنني سني

قولو للفقيه عنِّي * عشق ذا المليح فني
وشُرْبِي معو بالكاس
والحاضرة مع الجلاس
وحولي رفاق أكياس
قد شالوا الكلف عني

قولو للفقيه عنِّي * عشق ذا المليح فني

له أيضا

خفيف (قفل)

دور I

طاب شرب المدام في الخلوات * اسقني يا نديمي بالآنيات
خمرة تركها علينا حرام * هي تبرِ خلو من الشبهات
عمقت في الدنان من قبل آدم * أصلها طيب من الطيبات
افتني أيها الفقيه وقل لي * شربها هل يجوز في عرفات
أويجوز الطواف والسعي بها * ويلبى ويرمى بالجمرات
أويجوز القرآن والذكر منها * أويجوز التسبيح في الصلوات

دور 2

- * فأجاب الفقيه إن كان خمر
- * عنب فيه شيء من المسكرات
- * شربه عندنا حرام يقينا
- * زائد فيه شيء من الشبهات
- * آه يا ذا الفقيه لو ذقت منها
- * وسمعت الأحنان في الخلوات
- * تركت الدنيا وما أنت فيه
- * واخترت العيش هائما في الفلات

له أيضا

انتهى البرنامج المبارك بحمد الله وحسن عونه وتوفيقه الجميل ووافر منه .

إعداد وتنسيق: محمد التهامي الحراق

إنشاد: «مجموعة الذاكرين»

Préface

En inscrivant cette séance de sama' du groupe « Al-Dhâkîrîn » dans sa programmation culturelle, la Fondation de la Mosquée Hassan II a voulu rappeler qu'à la faculté d'audition est conférée en islam une très grande importance, presque supérieure selon certains penseurs musulmans à celle que l'on accorde généralement à la vision.

Corollaire du Verbe existenciateur, l'audition est la condition sine qua non de la compréhension et de la réceptivité. Le monde n'est-il pas engendré par une injonction divine, une parole fondatrice (« Kun ! » ; « Sois ! ») ?

Le Saint Coran nous montre, dans la prééternité (al-azal), les âmes naissant à elles-mêmes à l'audition de la voix indescriptible de Dieu, leur demandant : « Ne suis-je pas votre Seigneur ? » (alastu bi rabbikum ?). Et celles-ci répondent : « Oui, nous l'attestons », scellant le Pacte primordial ou Covenant éternel (mithâq) qui lie les fils d'Adam au Créateur.

C'est dire combien le terme « sama' » est sémantiquement chargé, lourd de sens. Le mot « sama' », que le français « audition mystique » ne rend qu'imparfaitement, réfère implicitement, tout comme le mot « dhîkr », à l'injonction coranique de lutter contre le penchant à la négligence, et à l'oubli (du message coranique). Valorisant l'attention comme disposition à l'accueil, il évoque en creux un devoir d'écoute essentielle et la nécessité du ressouvenir du Pacte. Se remémorer inlassablement Dieu, l'invoquer sans cesse, refuser l'amnésie font partie des recommandations les plus insistantes adressées au croyant.

Etrangement, en arabe comme en latin, a fait remarquer un éminent spécialiste de la musique arabe, Jean During, « entendre et obéir ont la même racine ». Pourquoi ne pas rappeler aussi qu'en français « entendre » et « entendement » proviennent d'une racine unique ? « L'ouïe a son être dans l'oreille qui écoute », a dit quelque part Heidegger.

Poésie mystique et modalité particulière de l'invocation divine dans le soufisme, à l'instar du dhîkr, le sama' est un oratorio spirituel ou concert mystique dont l'écoute est censée nettoyer l'ego, éduquer l'âme, et « attirer la grâce ou l'extase » (J. During).

« Quand ils entendent ce qui a été révélé au Prophète, tu vois leurs yeux déborder de larmes, car ils ont reconnu la Vérité. » (Cor. 5, 83).

Moyen d'éducation spirituelle, cette poésie éminemment subtile, qui peut prendre la forme du panégyrique (du Prophète) ou de la qasida (récit et métaphore du chemin), est tissée de métaphores et de fines allusions à l'Aimé (Dieu) et à la quête du disciple. Réclamant de l'auditeur une attention sans mélange et une immersion sincère, elle a le don d'é mouvoir aux larmes, et, parfois, de provoquer le wajd (état extatique).

Perpétuant avec zèle et amour la tradition du sama' marocain et andalou, les choristes du groupe « Al-Dhâkîrîn » de Rabat nous convient, à travers trois séances (les vertus et les bienfaits du jeûne, des poèmes du cheikh sidî Mohammed al-Harraq, des passages de du grand poète mystique, al-Shushtari), à une audition mystique inédite. Puisse celle-ci réjouir le cœur et l'intelligence.

Bouchaïb Fokar

Conservateur de la Fondation de la Mosquée Hassan II de Casablanca

